

التطور الدلالي في معاني ألفاظ اللغة العربية الخالدة بخلود القرآن الكريم

علي عبدالله علان*

ملخص

حفظ القرآن الكريم اللغة العربية من النقص والاندثار على مر الزمان، وجعل لها الصدارة والعالمية لقرون في ظل دولة الإسلام وكما أظهرها الله إلى يوم الدين. واللغة الحية هي التي تكون مشايعة بتطور دلالات ألفاظها لما يستحدث في حياة أبنائها. وهذه دراسة تبحث في التطور الدلالي في معاني اللغة العربية، فكانت في مبحثين: الأول في حقيقة التطور الدلالي وعوامله وعواقبه، والمبحث الثاني في أشكال التطور والمعضلة التي تواجهها، منتمساً الجدة في القيمة العلمية في ذلك كله، ثم نتائج هذه الدراسة وتوصياتها. الكلمات الدالة: استحالة انقراض اللغة العربية، حقيقة التطور الدلالي، عوامل التطور الدلالي، اللغة العربية خالدة بخلود القرآن الكريم.

* كلية عمان للعلوم المالية والإدارية، جامعة البلقاء التطبيقية.

تاريخ قبول البحث: ٢٠١٢/٧/١٠.

تاريخ تقديم البحث: ٢٠١١/١٢/١٢.

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2013.

Semantic Development and the Role of Quran in Preserving the phonological meaning of the Arabic Language as to its Originality and Development

Ali Abdallah Allan

Abstract

The Holy Quran has preserved the Arabic language from imperfection and extinction as old as the history, and made it a lingua-franca in the shade of Islamic governments as long as it lasts for many centuries.

The terminology of a living language keeps pace with the novelties of its speakers.

This study discusses the role of Quran in preserving the Arabic language as to its originality and development.

The study is divided into two sections: (1) A theory of the reality, factors, obstacles and forms of the semantic development; then It discussed the dilemma that faced the semantic development in the phonological meaning of the terminology of Arabic language by using the opulent scientific data through out the study. Eventually, I concluded the results of this theoretical study. (2) A field study of the Quran's role in preserving the Arabic language as to its originality and development.

Keywords: The everlasting of Arabic language ,The factuality of semantic development , The synchronic and diachronic of semantic development , The perpetuity of Arabic language is due to perpetuity of holly Quran .

مقدمة

لقد أنزل الله القرآن الكريم المعجزة ومنهج الهداية بلسان عربي مبين، فكان الحافظ لهذه اللغة العربية الدافع لدراستها لغويا وصرفياً ونحوياً وبيانياً... وليس هذا فحسب بل إن نزوله بهذه اللغة جعل لها الخلود بخلوده، وجعل لها الصدارة والعالمية بين لغات البشر لقرون من الزمان، وامتدت بامتداد الفتوحات الإسلامية، وغزت لغات البشر الأخرى في عقر دارها، وهوت إليها أفئدة الداخلين في الإسلام الناطقين بها وبغيرها، كيف لا؟! وهي لغة كتاب ربهم فدراستها تعبداً لله واستعانةً على فهم مراده من كتابه، وتحقيقاً لواجب التدبر والتفكر، وهي لغة عبادتهم لربهم وذكرهم له والصلاة على نبيهم، ولغة الحكم في تلك البلاد المفتوحة.

فترتب على ذلك أن تكون هذه اللغة مؤثرة ومتأثرة سواء أكان من جهة ثراء الألفاظ والمفردات أو توسع وتطور دلالاتها ومعانيها، فكم هو تأثير اللغة العربية في غيرها؟ وكم هو تأثيرها بغيرها؟ إن الإجابة لتحتاج إلى دراسة استقرائية من هيئات مجتمعة، وأيم الله إن عمر الفرد ليفنى قبل إدراك الإجابة فضلاً عن تحريرها.

ولقد كانت غيرتي على اللغة العربية الدافع لهذه الدراسة، حيث صدر تقرير منظمة اليونسكو الذي عد اللغة العربية من بين اللغات التي ستفرض خلال القرن الحالي^(١)، كما ستتجه منظمة الأمم المتحدة في نيويورك إلى إلغاء العربية من بين اللغات العالمية في المنظمة^(٢).

أهمية الدراسة

- إن هذه الدراسة تدلل على خلود اللغة العربية وتجاوزها حدود الزمان والمكان، واستحالة انقراضها.
- وتبين ثراء اللغة العربية وسعتها في ألفاظها، وهي بذلك لغة حية تستجيب لتطور حياة أبنائها.

الدراسات السابقة

- إن أسبق الدراسات والأبحاث في التطور الدلالي في اللغة العربية وفقها^(٣) كانت للأستاذ الرافعي (١٣٥٦هـ) في كتابه (تاريخ آداب العرب) حيث تحدث عن نشأة اللغات وتفرعها

- وتاريخ اللغة العربية، وأثناء ذلك عرض لتطورها، ثم كانت دراسة الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه (علم اللغة) وتابعه عدد من الباحثين في فقه اللغة.
- وكتب بعض الباحثين في عوامل التطور في اللغة العربية، منهم الدكتور أحمد حماد، في كتابه "عوامل التطور اللغوي".
- وكانت رسالة الدكتور عودة أبو عودة بعنوان: "دراسة دلالية للمصطلحات القرآنية"، تحدث فيها عن المصطلحات القرآنية فحسب، ولم يتحدث عن دور القرآن عموماً في حفظ ألفاظ اللغة العربية.

مشكلة الدراسة

- متابعة بعض الباحثين المحدثين في اللغة العربية لنتائج دراسات الباحثين في اللغات الأخرى، وسيأتي توضيح ذلك أثناء الدراسة.
 - عدم تفريق بعض الباحثين بين التطور الدلالي للألفاظ والنقل القسري لها.
- وجعلت هذه الدراسة في مبحثين: الأول تحدثت فيه عن حقيقة التطور الدلالي وعوامله وعوائقه، ثم تحدثت في المبحث الثاني عن أشكال التطور الدلالي ومعضلة تواجهه، منلمساً الجدة في القيمة العلمية والعرض، ثم نتائج هذه الدراسة.

المبحث الأول

التطور الدلالي، حقيقته، عوامله، عوائقه

حقيقة التطور الدلالي في اللغة:

إن التطور الدلالي ظاهرة عفوية تثبتت في كل اللغات التي تباينت بها ألسنة البشر، وأكدها الدارسون^(٤) لمراحل نمو اللغة وأطوارها التاريخية، وذلك لعوامل وأسباب تخرج عن إرادة الإنسان واختياره، يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: "ليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تطور اللغة أو يجعلوها تجمد على وضع خاص، لأن التطور يرجع إلى عوامل جبرية، فمهما أجادوا في وضع معجماتها وتحديد ألفاظها ومدلولاتها وضبط قواعدها وأصواتها فإنها لا تلبث أن تحطم هذه الأغلال وتفلت من هذه القيود، وتسير في السبيل التي تريدها على السير فيها سنن التطور والارتقاء الطبيعيين"^(٥).

ويرى كثير من المحدثين أن التطور الدلالي للألفاظ انتقل بمعانيها من المادية الحسية إلى المعنوية المجردة^(٦)، بل أثبت بعضهم الإجماع على ذلك^(٧)، ويرونه من مظاهر التطور المجتمعي عبر الزمان والمكان، يبدأ بشكل عام فردياً: ثم مجتمعياً، وإن كانت علته وعوامله هي دائماً مجتمعية، وهذا ما أكده "دوركاييم"^(٨) وتابعه عليه بعض علماء فقه اللغة العربية^(٩).

وبناء على ما تقدم يمكن أن نجمل خصائصه بالآتي:

- ١- إنه يسير ببطء وتدرج- وذلك شأن أي تطور- فينتقل مدلول الكلمة من معنى إلى آخر قريب منه إلى ثالث متصل به إلى رابع مشابه له.....
- ٢- يحدث بشكل عفوي تلقائي - لا دخل لإرادة الإنسان به - فردي ثم مجتمعي.
- ٣- أسبابه وعوامله مجتمعية يستحيل معها وقفه.
- ٤- غالبه انتقال من المعاني المادية إلى المعنوية.

بينما يرى آخرون في فقه اللغة أن التطور الدلالي هو في الدلالة الاجتماعية: أي لغة التعامل بين الناس، لا في الدلالة المعجمية للألفاظ أو فيما يسميها بعضهم باللغة الأدبية أو القديمة، وهم يرون أن تلمس هذا التطور في الدلالة الاجتماعية إنما يفيد المقامات أو سياقات الكلام^(١٠).

عوامل التطور الدلالي لمعاني ألفاظ اللغة العربية:

اتضح مما سبق أن التطور الدلالي يرجع لعوامل تخرج عن إرادة الإنسان واختياره، وهي عوامل مجتمعية تدعو إليه، وإن بدأت فردية فإنها تعم أفراد المجتمع كله، وإليك بيانها:

أولاً: الأحوال الحضارية (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية):

اللغة هي حاجة الإنسان إلى التفاهم مع أفراد جنسه ومجمعه، وهي نتاج عمله العقلي والعاطفي للتعبير عن المفاهيم والمعارف والأشياء عبر الأجيال المتوالية، واللغة هي اصطلاحات عرفية بين المتكلمين بها، يقول الأستاذ الرافي: "وهي ألفاظ ملك السامع في الحقيقة لا ملك المتكلم، لأنها لا يلغى بها لغو الطائر، ولكنها تلقى لدلالة خاصة يعينها الاصطلاح العرفي بين المتكلم والسامع"^(١١)، كما أن اللغة "هي بنت الاجتماع"^(١٢) لذلك كانت الأحوال الحضارية عاملاً مؤثراً في نشأة اللغة وفي تطورها.

فتتأثر اللغة بحضارة أهلها وبنظمهم الاقتصادية والسياسية، وتقاليدهم ومختلف شؤونهم الاجتماعية، يقول الأستاذ الرفاعي: "ولما كانت اللغة كما أسلفنا تابعة لأحوال الاجتماع في البسط والقبض وما يتقلب عليه ويحدث فيه، بحيث لا يخرج على أن تكون مرآة تظهره كما هو في نفسه، مهما تنوعت أشكاله واختلفت أزيأؤه، كان لا بد أن تتغير بحسبه ما دامت مستعملة فيه، وهذا التغير هو حقيقة الاصطلاح والمواضعة، فالإنسان لما ارتجل المقاطع الثلاثية دل بها على معانٍ محصورة في حدود نظامه الاجتماعي، ثم ضرب في الكلام بمقدار ما يجد في أمره وما يتنبه إليه من حقائق الموجودات التي تكاشفه بنفسها، وذلك على طريقة تكرار الألفاظ وتنويعها للمعاني المختلفة بدلالة القرينة"^(١٣).

وإن امتداد تاريخ حضارة ما وقوة حكم دولتها يُبقي على تداول ألفاظ لغتها في لغات المحكومين بها، حتى بعد زوالها.

فمثلاً قيام الحضارة العربية الإسلامية العالمية وتوسعها في زمن الخلافة العباسية وازدهارها ومدنيتها المتميزة، كان له دور واضح في تطور اللغة العربية، يقول الدكتور وافي "انتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها ويسمو بأساليبها ويوسع نطاقها، ويزيل ما عسى أن يكون فيها من خشونة"^(١٤).

ومن الألفاظ التي تطورت أو تأثرت بالحضارة والنظم السياسية والاقتصادية (الذمي، الجزية)^(١٥)، الجباية، الجابي، الراتب، الضرائب، المكوس، الضمان، المسققات....^(١٦).

لذلك "فيعتمد التطور اللغوي اعتماداً وثيقاً على الظروف التاريخية وبينه وبين الظروف الاجتماعية التي تتطور فيها اللغة صلة وثيقة، فإن تطور المجتمع يستتبع تطور اللغة"^(١٧).... وقد يتغير مقياس الحكم على اللفظة من جيل إلى جيل طبقاً لاختلاف التقاليد أو المستويات^(١٨)... كما أن للفئات المهنية في المجتمع دوراً في تطور اللغة كمهنة الطب من فئة الأطباء وفئة الصحافة والهيئات الأكاديمية....^(١٩).

بل إن أساليب الخطاب في اللغات تتأثر بالحالة الاجتماعية كما في استعمال ضمير الجمع في العربية في مخاطبة الفرد أو الحكاية عنه للتعظيم أو التبجيل^(٢٠) أو لأن التواصل العشائري والتناصر عند العرب يسمح لهم أن يعبر الفرد عن نفسه بضمير الجمع^(٢١).

ولما كانت اللغة بنت الاجتماع وحاجة الإنسان للتفاهم كانت اللغة العربية باتساعها وتفاعلها وقابليتها للنمو والتطور متميزة عن غيرها من اللغات، فهي لغة حية تكافئ بحياتها حياة أهلها، سائلة في دروب الكلام يقول الأستاذ الرافي "وظاهر أن اللغة لم تترام إلى هذا الاتساع إلا بعد أن قُلبت على وجوه كثيرة في الاستعمال، وأديرت على مناح مختلفة من الوضع، بما في أصل تكوينها من الحياة النامية التي تكافئ حياة أهلها وتماد أزمنتها، مهما كثرت أغراض هذه الحياة واستفاضت معانيها، واستبحرت في مذاهب العمران، فهي في الكفاية سواء يوم كانت لغة الطبيعة البدوية الخشنة لا تلقها^(٢٢) إلا على ألسنة البدو الذين هم الجزء المتكلم من تلك الطبيعة الصامتة، ويوم صارت لغة الحياة المنبسطة تصرفها الألسنة والأقلام في مناح من العلوم والآداب والصناعات التي قام بها التمدن الإسلامي.... وإن حركة العمران إنما هي حركة العمل في مصنع اللغة، وليس يخفى أن حياة اللغة وموتها أمران يؤخذان بالاعتبار، فإن اللغة الحية هي التي تكون مشايعة بأوضاعها لكل ما يجد من مستحدثات الحياة... ولكن اللغة تُرمى بأنها في سبيل اللغات الميتة تلك التي لا يزال يطراً عليها النقص^(٢٣)".

ثانياً: الأحوال الجغرافية:

كما أن للأحوال الاجتماعية^(٢٤) والتاريخية أثراً في التطور الدلالي للألفاظ اللغوية وتجدد المعاني فإن للحالة الجغرافية للمنطقة التي يقطنها الناطقون بلغة ما أثراً كذلك من جهتين:

أ- من جهة كون طبيعة المنطقة المنتشرة فيها تلك اللغة تسمح أو تشجع أهل المناطق المجاورة أصحاب لغات أخرى الاحتكاك بأهلها، الذي بدوره يحقق تبادلاً للألفاظ وتطوراً لدلالاتها ويخرج اللغة من خصائصها الذاتية فتغدو مؤثرة ومتأثرة.

يقول الدكتور مراد كامل: "ومن الملاحظ أن تطور اللغة يزداد بسرعة بازدياد انتشارها في خارج المنطقة التي نشأت فيها، وبازدياد عدد الناس الذين يتكلمونها وتنوعهم.... واللغات التي لا تنتشر إلا في منطقة محدودة بعيدة عن اختلاط الأجناس وعن ملتقى طرق التجارة والمواصلات تجدها- في الغالب- ذات طابع حوشي واضح^(٢٥)".

وذهب إلى هذا أيضاً الدكتور علي عبد الواحد وافي حيث قال كلاماً مجملاً لم يفصله: "وتتأثر اللغة... بأحوال بيئتها الجغرافية"^(٢٦) ويقول أيضاً "ولما كان من المتعذر أن تظل لغة بمأمن من

الاحتكاك بلغة أخرى كانت كل لغة من لغات العالم عرضة للتطور المطرد عن هذا الطريق طريق تأثر اللغة باللغات الأخرى^(٢٧) .

نعم كل اللغات لا شك أن بعضها يتأثر ببعضها ولكن كما قلت: طبيعة جغرافية منطقة الناطقين بلغة ما وخصائصها التشجيعية يترك فروقاً نسبية متفاوتة بين اللغات من حيث التطور والتأثر والتأثير، واللغة المتميزة تلك التي تحيل ما يُدخلها من اللغات الأخرى إلى أصول أوضاعها، بما لدى ألفاظها من المرونة، ومعانيها من السعة، وتحافظ بذلك على ذاتيتها واستقلالها.

ولعل أكثر اللغات تأثيراً ثم تأثراً - مع الإبقاء على ذاتيتها - اللغة العربية، التي رافقت الفتوحات الإسلامية، والتي حكمت بقاعاً واسعة من بلاد العالم ذات اللغات المتعددة، فكانت لغة العالم لحقبة زمنية طويلة.

ومعظم المعاني والدلالات المقتبسة من اللغات الأخرى تكون في الغالب مما اختص به أهل تلك اللغة أو برزوا به، وكثيراً ما يتغير مدلول اللفظ في حال الانتقال من لغة إلى أخرى من جهة تخصيص مدلولها العام أو تعميم مدلولها الخاص أو استعماله مجازياً، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

وكان بعض الباحثين قد عد هذا عاملاً " منفرداً " وأطلق عليه عامل الاقتراض^(٢٨).

ب- وأما الجهة الثانية للحالة الجغرافية التي تترك أثراً في تطور اللغة : طبيعة ذات المنطقة التي يقطنها الناطقون بتلك اللغة ، فإن كانت واسعة تفرق فيها أهلها، مما يترك أثراً في اللغة بانقسامها إلى لهجات بعكس ما إذا كانوا يعيشون في مناطق متصلة مجتمعين^(٢٩).

وأقول لعل هذا يجلي لنا حكمة الله في أن يهَيئ مكة مهوى أفئدة قبائل العرب دينياً ثم تجارياً في الجاهلية، لتكون مهد نزول القرآن الكريم، حيث كانت تلتقي فيها قبائل العرب متبادلة مدلولات الألفاظ ومعانيها في لهجاتها المتعددة، وعدّ الأستاذ الرافعي هذا التهذيب الثالث للغة العربية، وأنه من صنع قريش وحدها^(٣٠) .

ثالثاً: النضوج العقلي

يقول الدكتور وافي: "خصائص الأمة العقلية ومميزاتها في الإدراك والوجدان، ومدى ثقافتها ومستوى تفكيرها ومنهجها، وتفسيرها لظواهر الكون وما وراء الطبيعة... كل ذلك يبعث صدها في لغتها"^(٣١).

ويتبع هذا النضوج العقلي وتفسير ظواهر الكون التقنيات العلمية في الحقول المختلفة، فيما يترك أثراً جلياً في التطور الدلالي للألفاظ أو تجدد ألفاظ أخرى إما مشتقة من ذات ألفاظ اللغة (الحاسوب) أو مقتبسة من لغات أخرى (نحو اللبنة)، كما قد يتغير المدلول من جهة طبيعة الشيء الذي يدل عليه، ويمثلون لذلك بلفظ (الريشة) التي كانت تطلق على أداة الكتابة المأخوذة من ريش الطير، ثم تغيرت طبيعة المدلول إلى المعدن المتخذة - المصنعة - منه في أيامنا^(٣٢).

وأستميح السادة العلماء العذر في مخالفتهم بالتعبير عن هذا العامل (بالنضوج العقلي) إلى التعبير عنه بـ (تكامل المعرفة العقلية)، لأنه يفهم من القول بالنضوج العقلي أن قصوراً كان قبله، وهو معنى يلتقي مع نظرية داروين^(٣٣) المتساقطة قبل استوائها على سوقها.

فالمعرفة العقلية تتكامل عبر الزمان معتمدة على معطياتها التي تتوافر مع الزمن من خبرات متراكمة واكتشافات متجددة وحاجات ودواعيها، وروح التنافس والتسابق الفطري في الجماعات البشرية، مستخدمة الوسائل المتنوعة والتقنيات المختلفة، ولا شك أن هذا كله سيترك أثراً جلياً في التطور الدلالي في ألفاظ اللغة.

ذكره بعض فقهاء اللغة العربية^(٣٤) ولم يوضحوه، وأقول لعل الحال النفسي من خوف أو محبة أو بغض ونحو ذلك يسهم في تطور معاني الألفاظ ودلالاتها، وإن كان دوره أوضح في تطور الأساليب ومعاني التشبيه... وأمثلة له بتطور دلالة لفظ (السليم) لتطلق على الملذوغ بدافع الأمل النفسي بالنجاة والسلامة.

خامساً: العامل الأدبي المقصود

ذكر هذا الدكتور وافي: فهو يرى أن ما يبذله الأفراد والهيئات من أهل لغة ما، يسهم في حفظ اللغة من جهة، كما يوسع نطاقها من جهة أخرى ويهذبها^(٣٥).

ولكني أعترض عليه لأن ما يفعله الأفراد والهيئات هو الحفظ – كما قال – وربما التهذيب، ولكن ليس لهم دور في توسيع النطاق، إلا أن يكون إقراراً لبعض الألفاظ أو الدلالات لألفاظ أخرى فيما تصنعه المجامع اللغوية.

ولو سلمنا له بأن لهم دوراً في التطور اللغوي فهو لا يتوافق مع الحقيقة التي سلم لها جل فقهاء اللغة العربية واللغات الأجنبية في أن التطور الدلالي إنما هو عفوي لا قسري كما سبق بيانه.

سادساً: ويرى الدكتور وافي أنه من العوامل: "إنتقال اللغة من السلف إلى الخلف:"^(٣٦) قلت: هذا غالبه عامل للتطور الصوتي للألفاظ لا الدلالي كما سيأتي بيانه.

كما ذكر تحت هذا العامل التفاوت العقلي والاجتماعي " وهي تدرج تحت العوامل السابقة الذكر، وعليه لا أراه عاملاً مستقلاً.

سابعاً: العامل الديني

يرى بعض الباحثين في فقه اللغة العربية دون غيرهم أن للدين أثراً واضحاً في التطور الدلالي للألفاظ ويقول الدكتور أحمد حماد "للدين أثر كبير في اللغة وفي إحياء الألفاظ والدلالات وفي ظهور ألفاظ وعبارات جديدة بظهوره" ثم قال "فكانت لغتنا العربية... لغة القرآن الكريم وما جاء به من أحكام وأصول في الشريعة والفقه، وما حدث من ظهور المذاهب في الإسلام والاجتهادات المختلفة حول كل موضوع وقضية، كان لهذا كله الأثر في اللغة العربية، وكان له الأثر الكبير في نمو لغتنا وإثرائها"^(٣٧) ووافقه في ذلك الدكتور عودة أبو عودة^(٣٨)، وحاكم مالك لعبيبي^(٣٩)، ويمثلون لذلك بلفظ الصلاة والحج... والجنة والنار... والنفق والفسق...

وهم بهذا يخالفون غيرهم من الباحثين في فقه اللغات الأخرى، كالفرنسية والألمانية والإنجليزية... وحتى أكثر الباحثين في فقه العربية، وعميدهم من السابقين ابن فارس (٣٩٥هـ)، حيث يقول في حديثه عن المصطلحات الإسلامية: "ومما جاء في الشرع (الصلاة) وأصله في لغتهم الدعاء... فالوجه في هذا إذا سئل عنه أن يقول: في الصلاة اسمان: لغوي وشرعي، ويذكر ما كانت العرب تعرفه، ثم ما جاء الإسلام به"^(٤٠)، ورائدهم من المُحدثين الدكتور علي عبد الواحد وافي الذي يعد من أسبق من ألف في فقه اللغة العربية، فالطبعة الرابعة من كتابه كانت

عام ١٩٥٧م، حيث لا يعدون الدين عاملاً في تطور اللغة، لأنه يرونه قسرياً لا عفويماً ومن خارج دائرة الإنسان الناطق باللغة، وقد سبق تقرير هذا في بيان حقيقة التطور الدلالي للألفاظ.

وما هذا إلا توسع أفقي في معاني اللغة العربية بالنقل القسري من معنى لغوي إلى اصطلاحي ديني أو علمي - مع وجود وشيجة علاقة بينهما- وليس تطوراً عمودياً عفويماً.

ثامناً: العامل الصوتي

ويرى بعض علماء فقه اللغة الأجنبية العامل الصوتي - لإيمانهم بالارتقاء الطبيعي لأعضاء النطق عند الإنسان متأثراً بنظرية داروين- عاملاً من عوامل التطور الدلالي، وهذا لا نقره ولا نوافقه^(٤١)، وإن كان الدكتور وافي ذكره^(٤٢) في معرض حديثه عنها، والغريب أن الدكتور عودة أبو عودة عده عاملاً مباشراً في ذلك^(٤٣).

ومثال ذلك: إبدال السين بالصاد أو العكس، كما في قولهم: "خطيب مسقّع، أو مصقّع: أي بليغ"، قال صاحب مختار الصحاح: السقّع: بوزن القفل، لغة في الصقّع، وخطيب مسقّع، مثل مصقّع^(٤٤).

عوائق التطور الدلالي لمعاني ألفاظ اللغة العربية:

بعد أن عرضت لعوامل التطور الدلالي لمعاني الألفاظ التي تسهم في تحقيقه، فثمة عوائق تضعفه أو تحول دونه، يجدر بنا أن نذكرها وهي:

أولاً: وضوح المعنى الأصلي في الأذهان يضعف أو يحول دون التطور الدلالي لمعاني الألفاظ، ومن هنا كان الاحتكاك باللغات الأخرى وجغرافية منطقة اللغة التي تشجع انتقال أهل اللغات الأخرى إليها ذات أثر في التطور لما ينتج عن ذلك من العجمة والإبهام والغموض، فكلما كان المعنى الأصلي جلياً واضحاً في الأذهان قلت نسبة التطور الدلالي في اللغة ويحقق هذا الدور المعاجم إلى حد ما.

ثانياً: وضوح صلة الكلمة بأسرتها وبأصل اشتقاقها يحول في الغالب دون تطور دلالاتها^(٤٥).

المبحث الثاني:

أشكال التطور الدلالي في معاني ألفاظ اللغة العربية ومعضلة تواجهه

ذهب سادة من فقهاء اللغة العربية على أنها توقيفية، يقول ابن جنّي (٣٩٢هـ): "وذلك أنني إذا تأملتُ حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدتُ فيها من الحكمة والدقة، والإرهاق والرقّة، ما يملك عليّ جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر.

فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثور بأنها من عند الله جلّ وعزّ، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه وأنها وحي" (٤٦).

ويقول ابن فارس (٣٦٥هـ) في استدلاله على أن اللغة توقيفية: "والدليل على صحة ما نذهب إليه إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه، أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم، ولو كانت اللغة مُواضعة واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج، لو اصطلحنا على لغة القوم ولا فرق" (٤٧).

ومع أن اللغة العربية توقيفية إلا أنها لم تكن جامدة غير قابلة للتطور بالقياس على أصول أوضاعها الأولى، يقول ابن جنّي: "وقد تقدم في أول الكتاب القول على أن اللغة أتواضع هي، أم إلهام... وعلى أي الأمرين كان ابتداءها، فإنها لا بد أن يكون وقع في أول الأمر بعضها، ثم احتيج فيما بعد إلى الزيادة عليه بحضور الداعي إليه، فزيد فيها شيئاً فشيئاً، إلا أنه على قياس ما كان سبق منها في حروفه وتأليفه وإعرابه المبين عن معانيه، لا يخالف الثاني الأول، ولا الثالث الثاني، كذلك متصلاً متتابعاً" (٤٨).

ولكن المجيء بقياس جديد نخرج به عن التصريف التوقيفي يُفسد اللغة، يقول ابن فارس: "وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها" (٤٩).

وهذا ما أكده علماء أصول الفقه الإسلامي، حيث لهم عناية خاصة باللغة العربية ودلالة معانيها، لما في ذلك من أثر في الحكم الشرعي وفهم الدليل من القرآن الكريم أو السنة الشريفة، يقول الإمام الغزالي (٥٠٥هـ): "وقد رأيناهم يضعون الاسم لمعانٍ ويخصصونها بالمحل كما سموا الزجاج الذي تفر فيه المائعات قارورة أخذاً من القرار، ولا يسمون الكوز والحوض

قارورة وإن قرّ الماء فيه، فإن كل ما ليس على قياس التصريف الذي عرف منهم بالتوقيف، فلا سبيل إلى إثباته ووصفه بالقياس" (٥٠).

ومن هنا فإن انفساح اللغة العربية ومرونتها على الاشتقاق وقابليتها للتطور على أصول أوضاعها الأولى بتصريفات ألفاظها التوقيفية ميزة لها تجعلها لغة حية نضرة، ولولا ذلك لكان اندثارها أسرع إليها من استوائها على سوقها، ولما استقامت أمام تطور حياة الناس عبر الزمان.

ولما كان هذا الانفساح من ذات اللغة وقواها الكامنة، حافظت بذلك على استقلالها، يقول الأستاذ الرفاعي: "ومن شأن الكمال في الاستقلال اللغوي استعمال القوى الكامنة في اللغة نفسها، وإعطاؤها الحياة والنمو من باطنها، لا تهينة هذا الكمال بما يتناول من قوى غيرها، فإن ذلك تبعية لا استقلال" (٥١).

ومرونة اللغة على الاشتقاق قوة لها وبرهان بقائها المتميز، وبذلك تحيل ما يُدخلها من اللغات الأخرى إلى أصل أوضاعها ولا تنوب في اللغات الأخرى، يقول الأستاذ الرفاعي في هذا: "فإذا كان في اللغة ما يساعد على نموها المستمر مع بقائها متميزة في نفسها، بحيث تحيل كل ما يُدخلها من ألفاظ اللغات الأخرى إلى أوضاعها الخاصة بها والمقامة لهيئتها... وإلا فتلك هي اللغة التي أحق ما توصف بأنها سائلة في طرق الكلام... والعربية أوسع اللغات مدى أغزرها مادة وأوفاهن بالحاجة الحقيقية من معنى اللغة لكثرة أبنيتها وتعدد صيغها ومرونتها على الاشتقاق وانفساحها من ذلك إلى ما يستغرق اللغات بجملتها، مع أنها أقل اللغات أوضاعاً حتى إن المستعمل منها لا يتجاوز ستة آلاف تركيب.." (٥٢).

وبعد دراسة ما كتبه الباحثون في فقه اللغة العربية وتطورها، وما ذكره من أمثلة له أرى أن للتطور الدلالي شكلين هما:

أولاً: التضييق: وهو الذي يلحق بعض الألفاظ ويراد به: استعمال اللفظ الذي له دلالة عامة ببعض ما يدل عليه، ومع تقادم الزمن يُقصر مدلوله على هذا المعنى الخاص ويشيع به، ويمثلون لهذا بلفظ (الراث) الذي كان يطلق على كل شيء خسيس ثم قصر إطلاقه على الخسيس من اللباس والفرش (٥٣).

ثانياً: التوسع: ذكر له الباحثون في فقه اللغة وجوهاً كثيرة متعددة، أُجملها في وجهين (٥٤) مترتبين على العلاقة بين أصل الوضع لفظ والمعنى المستعمل به على جهة التوسع، فيحقق بذلك تطوراً:

أ) ما كانت علاقته المشابهة، وهو ما يعرف بالاستعارة في المجاز اللغوي ويمثلون له بلفظ (المجد) الذي يعني في أصل الوضع امتلاء بطن الدابة من العلف فتوسع به وتطور إلى الامتلاء بالكرم (٥٥).

ب) ما كانت علاقته غير المشابهة، وهو ما يعرف بالمجاز المرسل، ومثاله ما كانت علاقته المجاورة المكانية كلفظ (الطعينة)، وأصل معناه المرأة في اليهود ثم توسع ليطلق على اليهود ذاته، وما كانت علاقته المجاورة الزمنية كلفظ (العقيقة) فأصل معناه في (الشعر)، الذي يخرج مع الولد من بطن أمه فيتوسع فيه إلى معنى الذبيحة التي تذبح يوم حلق ذلك الشعر، ومنه الاستعمال الخاص في المعنى العام كلفظ البأس فأصل استعماله في الحرب والقتال ثم أستعمل في كل شدة، (٥٦) وما التضييق المذكور أعلاه - الشكل الأول للتطور - إلا عكس هذا.

وهذا الباب أعني المجاز هو الشكل الرئيسي في التطور اللغوي، يقول الأستاذ الراجعي: "والمراد من المجاز التوسع في الحقيقة" (٥٧) ويقول: " لا جرم كان للمجاز في اللغة هذا الأثر الذي بسط منها حتى فاضت أطرافها على المعاني، وتهدأ فيها من أنواع الوضع وطرق التعبير ما يعد في اللغات ميراثاً خالداً تُستقل منه المعاني في كل جيل، ويضمن للغة الثروة وإن أفلس أهلها" (٥٨) ... والوضع بالمجاز يُعدُّ اشتقاقاً معنوياً فيما لم ينهياً للعرب أخذه من طريق الاشتقاق، أخذوه بالنقل عن طريق المجاز، وبذلك وسعوا لغتهم (٥٩) ..."

ثم مثل لذلك فقال: "وقد رأينا أن ننقل مادة من مواد اللغة تمثل هذا الوضع وكيف اتسعت به اللغة حتى قلب المعنى الواحد على صور كثيرة... وهي مادة "ك ف ف".

فأصل المعنى فيها: الكف: وهي الجارحة المعروفة ثم اشتقوا منها قولهم كفه عن الأمر: إذا منعه، كأنه دفعه بكفه، فنقلوا معنى الكف إلى لازمها وهو من المجاز المرسل... ثم قيل استكف السائل وتكفف: إذا طلب بكفه، ويقال أيضاً استكف بالصدقة: إذا مد يده بها يعطيها، فضمن الأول معنى الاستعطاء، والثاني معنى الإعطاء... ومن هذا القبيل قولهم: استكفت الشيء: إذا

استوضحته بأن تضع كففك على حاجبك كمن يستظل من الشمس، ومن معانيها: "كفّ عن الأمر" إذا كف بصره وهو من المجاز المرسل.... ومنه قيل "كفاف من الرزق": أي ما كف عن البأس وأغنى... ثم قيل من معنى الكف للجارحة كفة الميزان... ولأن كفة الميزان مستديرة- قيل كفة القميص وكفة الثوب... بحيث ترى المعاني سلسلة متصلة من أول المادة إلى آخرها^(٦٠).

قلت: ولو نظرت في القرآن لرأيت أنه قد احتفظ بالأصل المادي لهذه الكلمة كما في قوله تعالى:

﴿ وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ، فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا بَنِي آدَمَ ﴿٤٢﴾ (الكهف: ٤٢) والمعنى المعنوي المتطور للكلمة كما في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ

لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ

أَنْقَنِي وَلَا تَنْظُمُونَ فَبَيِّنَا ﴿٧٧﴾ (النساء: ٧٧)، والمراد بالكف هنا قبض اليد^(٦١) أو الإحجام والمسك

عن القتال^(٦٢)، ويؤيده حديث ابن عباس رضي الله عنهما^(٦٣)، وكذلك قوله: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ

بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾ (النساء: ٨٤)، وهذا شأن ثابت في القرآن الكريم، يدل على خلود اللغة العربية بخلوده، حيث حفظ ألفاظها في أصالتها وتطورها^(٦٤).

وعد الدكتور إبراهيم أنيس أربعة أشكال للتطور: تخصيص الدلالة وتعميمها وانحطاطها ورفقيها^(٦٥).

والشكل الأول يتوافق مع التضييق الذي ذكرناه، والشكل الثاني مع التوسع، وأما الانحطاط فمثل له بالكرسي الذي أطلق في القرآن على العرش، ويقول: ويطلق الآن على كرسي السفرة والمطبخ^(٦٦)، ومثل لرفقي الدلالة بالمعلم والمؤدب والمدرس^(٦٧).

قلت: ولكن الكرسي في لغة العرب يُطلق على ما يقعد عليه عموماً^(٦٨)، والعرش يُقال اعتباراً بالعلو^(٦٩)، وكل منهما أطلق باعتبارٍ ولا دليل يبين أيهما أسبق من الآخر، فلذلك إن الدراسة التي يجريها العلماء على التطور الدلالي للألفاظ إنما يجب أن تكون حول اللفظ الواحد، وهذا هو الأصل المعتمد.

وفرق في القرآن الكريم بين الكرسي الذي ورد ذكره في آية الكرسي، وبين العرش كما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥)، وذلك لحديث أبي ذر الذي دل على أن العرش غير الكرسي، وأنه أعظم منه، حيث قال ابن حجر (٨٥٢هـ) في شرحه لأحاديث باب (وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم - النمل: ٢٦^(٧٠)): "وفي حديث أبي ذر الطويل الذي صححه ابن حبان (٣٥٤هـ) "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا ذر ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة"، وله شاهد عن مجاهد (١٠٤هـ) أخرجه سعيد بن منصور الخراساني (٢٢٧هـ) في التفسير بسند صحيح عنه^(٧١).

كما يُرد عليه بما مثل به لرقى الدلالة بأنها أطلقت باعتبارات مختلفة، وأن المعتبر بالتطور اللفظ الواحد، فالمؤدب^(٧٢): هو الذي يُعنى بالطالب تعليماً حسيّاً وعمليّاً وسلوكياً، ثم المعلم^(٧٣): هو المؤثر في نفس الطالب تأثيراً بيناً حتى يُصبح الأثر فيه معلماً، ثم المدرس^(٧٤): وهو الذي يأخذ طلابه بالرياضة العقلية والتعهد فيبقى أثره ولا يندرس.

وكثير من الباحثين في التطور الدلالي لم يعدوا التضييق والتوسع أشكالاً للتطور، وإنما ذكروها ضمن عوامله ودوافعه، فمثلاً الدكتور علي عبد الواحد وافي ذكر بعض وجوه التوسع تحت عنوان (عوامل التطور التي تتعلق باستخدام الكلمة)^(٧٥)، كما عدها الدكتور مراد كامل (أسباب التطور)^(٧٦)، والدكتور عودة أبو عودة عدّ المجاز من (العوامل المباشرة للتطور)^(٧٧)، وحاكم مالك لعبيبي عدّ المجاز المرسل من (سبل التطور)^(٧٨).

ولكني رأيت بعد دراستها وبحثها أنها أشكال للتطور لا عوامل له، ثم وقفت على ما كتبه بالمر (ادورد هنري (١٢٩٩هـ))^(٧٩) في كتابه (علم الدلالة) المترجم إلى العربية فرأيت أنه عدّ التضييق والتوسع من أنواع التطور، ولكنه جعلها تسعة أنواع، فعّد الاستعارة نوعاً وما كانت علاقته الجزئية نوعاً وهكذا^(٨٠) ولكني رأيتها ترد إلى التوسع والتضييق فحسب.

وكان الدكتور حماد قد ذكر وجوهاً للتوسع الدلالي منها:

- التوسع من جهة الاشتقاق في الأفعال والأحداث ومثل لذلك (بضرب وضارب ومضروب)^(٨١).

- والتوسع من جهة الاشتقاق الأكبر (القلب) ومثل لذلك (بفسر، وسفر)^(٨٢).
 - والتوسع في المعنى من جهة الاشتقاق السماعي في الأعيان والجواهر (الأسماء) ومثل لذلك بقول العرب استتوق الجمل^(٨٣).
 - التوسع في المعنى بالإبدال في الحروف نحو (الصقيع، الصقيع)^(٨٤).
 - التوسع في المعنى بالبحت ومثل له بـ(سبجل وحوقل)^(٨٥).
- ولكنك عند النظر فيها تراها لا تصح أشكالاً للتطور الدلالي، فما التوسع من جهة الاشتقاق في الأفعال والأحداث والاشتقاق الأكبر إلا توسع في صياغة الألفاظ مع الاحتفاظ بأصل دلالتها ومعناها، وكذلك البحت إبقاء على أصل الدلالة مع اختصار في الألفاظ.
- وأما الاشتقاق السماعي فما هو إلا من صور التشبيه التي تلحق بالتقسيم الذي ذكرته، كما أن الإبدال في الحروف هو من التطور الصوتي للألفاظ والتوسع في صياغتها مع الاحتفاظ بأصل الدلالة، ولعله السبب الأوضح في تكوّن اللهجات.
- وكان الأستاذ الرافعي دقيقاً عندما عدّ هذا من مظاهر نمو اللغة ولم يسمّه تطوراً دلالياً، فما هو إلا توسع أفقي في اللغة مع بقاء أصل المعنى.
- لأن النمو يعني الزيادة مع بقاء الأصل على هيئته، والذي لا يقتضي الجديد فيها، بينما التطور يقتضي الجديد، ومن هنا قال سبحانه في المراحل التي يمر بها الجنين حيث الهيئة مختلفة والجدة جلية ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾^(١٤) (نوح: ١٤)، وهذه الأطوار ذكرها سبحانه في قوله ﴿قَدْ خَلَقْنَا السُّلْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْمَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْوِطْنَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١٤) (المؤمنون: ١٤).
- ولقد ذكر الأستاذ الرافعي تحت عنوان أنواع النمو في اللغة وجوهاً^(٨٦):
- الإبدال والقلب: حيث قال: "وأهل اللغة يقولون: إن كل ما جاء من هذا القبيل فهو مقلوب، وبذلك لا يعتبر إلا لغة واحدة من وضع واحد، وكأن هذا التقديم والتأخير، إنما هو عارض في المنطق لسبب من الأسباب اللسانية كالخفة والنقل"^(٨٧).

- والنحت والمترادف والمشارك^(٨٨) والمشجر والأضداد والدخيل: وهي عنده: (ألفاظ داخلت لغات العرب من كلام الأمم التي خالطتها فتقوّهت بها العرب على منهاجها لتدل في العبارة بها على ما ليس من مألوفها)^(٨٩)، قلت: وهي مسألة مختلف فيها^(٩٠)، وغالباً عند من يقول فيها إنما تكون في المصطلحات، نحو القسط والقسطاس (العدل بالرومية)^(٩١)، ومسميات الأشياء نحو السندس (الرقيق من الستر بالهندية)^(٩٢).
- والمولد: وهو عنده: (ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم، وهم الطبقة التي وليت العرب في القيام على لغتهم من المتحضرين)^(٩٣) وقال: (وقد علمت أن من المولد: هذه المصطلحات التي جاءت بها العلوم)^(٩٤) - فهذه هي جملة أنواع نمو اللغة في رأيه^(٩٥).

وبناء على ما تقدم ترى أن التطور الدلالي لمعاني الألفاظ ما هو إلا استعمال اللفظ في دلالة مجازية، وما التوسع في دلالة الألفاظ إلا مجاز لغوي بقسميه الاستعارة والمجاز المرسل، وما التضييق الذي ذكرت أعلاه إلا من أقسام المجاز المرسل، ولا عجب إذا رأينا ابن جني في كتابه الخصائص قد ذكر للعدول عن الحقيقة إلى المجاز ثلاثة معانٍ: الاتساع والتوكيد والتشبيه^(٩٦)

وأقول لعل من نتائج تطور دلالة معاني الألفاظ وجود المشترك اللفظي في اللغة والتضاد والترادف عند من يقول به ولا يتلمس الفروق اللغوية بين ما يزعمه مترادفاً، ولكن جمال اللغة العربية ودقتها وإعجاز القرآن الكريم يرفضانه.

معضلة^(٩٧) تواجه دراسة التطور الدلالي لمعاني ألفاظ اللغة العربية:

تواجه دراسة التطور الدلالي لمعاني ألفاظ اللغة العربية بعمومها معضلة وذلك للأسباب التالية:

أولاً: كثرة الألفاظ العربية وعدم الإحاطة بكل المعاني المحملة عليها:

وأستدل لهذا بما قاله الإمام الخطابي (٣٨٨هـ) في بيان عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم حيث يقول: "علمهم - أي العرب - لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لها، ولا تدرك أفهامهم جميع المعاني والأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء وجوه النظم التي بها يكون إئتلافها وارتباط بعضها ببعض"^(٩٨) ثم أشار إلى قول الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) "في أنه لا يحيط بألفاظ اللغة العربية كلها

إلا نبي^(٩٩) وإن كان لا يضيع منها شيء على مجموع الأفراد، وعلق على ذلك ابن فارس فقال: "قال بعض الفقهاء كلامُ العرب لا يحيط به إلا نبي، وهذا كلام حريّ أن يكون صحيحاً^(١٠٠)".

ثانياً: عدم معرفة الأسماء التي أدت إلى التطور في بعض معاني الألفاظ وواكبته

إن عدم معرفة الأسباب التي أدت إلى التطور في بعض معاني الألفاظ وواكبته تمنع من معرفة مراحل التطور في استعمال اللفظ وأيهما أسبق، يقول ابن جنّي: "واحتج أبو بكر محمد بن السراج (٣١٦هـ) على أبي إسحاق الزجاج (٣١١هـ): بأنه لا يؤمن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها، إذ لم ندر ما حديثها... قال أبو بكر: فقال أبو إسحاق: لست أدفع هذا، ولذلك قال سيبويه (١٨٠هـ) في نحو من هذا، أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر، يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل^(١٠١)".

ثالثاً: رؤية بعض السابقين أن كل معاني الألفاظ تتوقف وتتفرع عن الأصل الذي وضعت له

ولذلك قيدوا الزمان المعتمد به في معرفة أصول الألفاظ ومعانيها، يقول ابن فارس في كتابه الصحاح تعليقاً على قول الأصمعي (٢١٩هـ) في أصل قول العرب (رفع عقيرته): "وهذا الذي ذكرنا عن الأصمعي وسائر ما تركناه ذكره لشهرته فهو راجع إلى الأبواب الأولى، وكل ذلك عندنا توقيف على ما احتجنا عليه، وقول هؤلاء: إنه أكثر حتى صار كذا، فعلى ما فسرناه من أن الفرع موقوف عليه، كما أن الأصل موقوف عليه^(١٠٢)".

رابعاً: التطور في دلالة الألفاظ لا يزال مستمراً وذلك لاستمرار عوامله

وهو لذلك يحتاج إلى جهود تجتمع وتلتقي في منهج واحد في استقراء النصوص المنظومة المعتمد بها في هذا الباب عبر الزمان من العصور السابقة على الإسلام وحتى يومنا، وتحليلها ودراساتها للوقوف على حقيقة التطور، وذلك في كل لفظ من الألفاظ العربية، وهو مما تفتى الأعمار دونه.

والمعاجم العربية قد تفي ببعض الحاجة في دراسة أصول الكلمة وتطورها، وإن بعض الباحثين في فقه اللغة يرونها قاصرة عن ذلك منهم الدكتور مراد كامل حيث يقول: "دراسة المفردات يجب أن تتجه ناحية أخرى، فالكلمات لا تستعمل في واقع اللغة تبعاً لقيمتها التاريخية، فالفعل ينسى خطوات التطور المعنوي التي مرت به- ونقول ينساها- إذا افترضنا أنه عرفها يوماً

من الأيام^(١٠٣)، ثم يقول في موضع آخر "أما المفردات فليس هناك إلى الآن قاموس عربي يفي بحاجتنا منها أو يكاد، فالمعاجم العربية القديمة لا تأتي بالشاهد إلا بالنادر القريب، فهي تهمل عن قصد المنشور وما جاء في كتب المتأخرين، وعلى الرغم مما بذل العلماء العرب في درس اللغة العربية من حيث الصرف والنحو، فإنهم قصروا في توجيه العناية الكافية بالمفردات، والكشف عن تطور اللغة بعد الإسلام^(١٠٤)، وذهب إلى هذا الرأي أيضاً الدكتور أحمد حماد حيث يقول بعد أن قارن بين المعاجم العربية في معنى بعض الألفاظ: "ولو نظرنا إلى هذه المعاني لوجدنا وجه الشبه بينها واضحاً جلياً ولوجدنا أيضاً أن معظم من وضعوا المعاجم قد نقلوا عن بعضهم البعض^(١٠٥) ونلمس أيضاً من هذه المعاني أنها لم تساير التغيير الدلالي للألفاظ وما يصاحبها من تطور حضاري واجتماعي^(١٠٦)".

وتابعهما في هذا الرأي الدكتور تمام حسان الذي يُعد من المجددين والناقدين للأصول اللغوية في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) وكتابه (الأصول، دراسة استيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو، فقه اللغة، البلاغة) حيث يقول "إن هذه المعاجم تغفل أمراً هاماً جداً جديراً بأن تعنى به المعاجم وذلك هو وجهة النظر التاريخية التي ترصد تطور بنية الكلمة من عصر إلى عصر وتطور دلالة الكلمة أيضاً... فالألفاظ المستعملة باللغة الفصحى تتطور شكلاً ومضموناً عبر العصور - على عكس النحو - فبعضها يبطل، وبعضها يطراً، وبعضها تتغير بنيته، وبعضها تتغير دلالاته... فهل يعقل أن تظل المعاجم العربية شيطاناً أخرس عما يجِد من هذا التطور؟ لقد كانت المعاجم العربية كذلك حتى الآن! والمأمول أن ينهض المشتغلون بالنشاط المعجمي بهذه المهمة الجليلة الشاقة والتي تتطلب أن يفتشوا في تراثنا الأدبي عن هذه الظاهرة^(١٠٧) كما يرى أن هذه المعاجم قد خلطت بين المعنى الحقيقي والمعاني المجازية للكلمة والتي يصعب تحديد معنى واحد لها، إلا أن توضع في سياق^(١٠٨)".

والحق أنني أخالفهم فيما ذهبوا إليه في وصفهم للمعاجم العربية بالقصور عن بيان الأصول التي وضعت لها الألفاظ وتطور دلالاتها، ولعل أبرز من حاول ذلك ابن فارس يرحمه الله، والقول الذي نقلته عنه أنفا يدل على هذه العناية، وإن كان لا يراه تطوراً وإنما تفرعاً عن الأصل، وقد نجد هذا في معظم المعاجم العربية، ولكنها محاولات فردية مع أن مثل هذا الأمر - كما قلت سابقاً - يحتاج إلى جهود مجتمعة تستقرئ النصوص المنظومة المعتد بها في هذا الباب عبر الزمان، ومع سعة الألفاظ العربية وكثرتها وعدم الإحاطة بجميع المعاني المحملة عليها فإن

الأعمار تقنى دونه، فشكر الله لأولئك الأفاضل ممن كتب المعاجم العربية في جهود فردية تصعب على الهيئات المجتمعة.

وإن مجامع اللغة العربية تقوم بجانب من هذا المطلوب لا كله؛ لأن سعة اللغة العربية وتعدد منهجية التعامل مع ألفاظها واختلافها تبعاً للسياسة الإدارية لتلك المجامع فإنها لا تؤدي دورها الكامل، ولعل المخرج أن توحد إدارتها بوساطة جامعة الدول العربية ووضع خطط وسياسة عمل ثابتة.

بل إن معضلة المعضلات ضعف أهل اللغة، ويرحم الله الأستاذ الرفاعي لما قال: "غير أنه قد أصابها ما أصاب أهلها من تبدد الكلمة واضطراب الأمر ووهن الاستقلال وتمزق المجتمع، فأصبحت كأنها محكومة بقوة خفية، لا يعرف ما هي ولا يظهر منها إلا أثرها، الذي تتبينه فيما لحق اللغة من الضعف وما رهقها من العجز، وفي جمودها على حال واحد، كأنها مقبورة في كتبها منذ تراجع التمدن الإسلامي أيام العباسيين، ومتى كانت اللغة صورة الأمة، فإن كل ما يعتبر هذه يتصل أثره بتلك ضرورة" (١٠٩).

نتائج الدراسة:

أقر في ختام هذه الدراسة للتطور الدلالي في معاني ألفاظ اللغة العربية النتائج التالية:

- حقيقة التطور الدلالي لمعاني الألفاظ غالبه بالانتقال من المعنى المادي الحسي إلى المعنوي المجرد.
- إن التطور الدلالي لمعاني الألفاظ مستمر لتعدد عوامله واستمرارها وضعف فاعلية عوائقه وهو تطور عفوي لا قسري ينطوي تحت إرادة الإنسان، ومجمعي لا فردي.
- إن أشكاله ووجوهه ما هي إلا التوسع باستعمال اللفظ في المعنى المجازي - وهو توسع عمودي لا أفقي - وتضييق الدلالة العامة للفظ على دلالة خاصة.
- والوقوف عليه في اللغة العربية - غيرها - يحتاج لجهود مجتمعة تستقرئ استعمال اللفظ في النصوص المنظومة والمنثورة المعتد بها عبر الزمان، ومع كل هذا تبقى هذه الدراسة للتطور الدلالي لمعاني الألفاظ ظنية لا تصل إلى درجة العلم القطعي.

- في اللغة العربية توسعان أفقيان في معاني ألفاظها: الأول: بالنقل القسري من معنى لغوي إلى اصطلاحى ديني أو علمي ... لوجود وشيجة بينهما، والثاني: بالنمو مع بقاء أصل المعنى، وذلك بالاشتقاقات بأنواعها والإبدال في الحروف والنحت ...

وأدعو إلى ضرورة تحرير ألفاظ اللغة العربية^(١١٠) مما علق بها فأصبحت مبهمة أو في الظاهر مترادفة، ولقد عمل القرآن والحديث على تحرير بعض الألفاظ لارتباطها بمفاهيم يريد الإسلام التحرر منها أو لأنها لا تناسب عقيدته أو أخلاقه أو تميز الأمة، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا وَفُولُوا بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَسْمِعُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ آيَةٍ﴾ (البقرة ١٠٤) وكما في الحديث: لا يقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل: لَقِسْتُ نَفْسِي^(١١١) وأمثلة ذلك في السنة كثيرة، فوجب على أرباب المناهج التربوية والإعلامية العناية بذلك.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف أقول: إن هذه الدراسة ونتائجها التي قررتها تتصاغر أمام أولئك العلماء الأفاضل الذين أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله وعناية باللغة العربية، وما الهمة التي دفعتني لهذه الكتابة إلا تشوقاً ورغبة في العلم.

وأخرج بالتوصيات التالية:

- إحياء معاني الألفاظ العربية من المصنفين والمؤلفين عند تعريفهم للمصطلحات ببيان أصل الاستعمال المادي للفظ ثم المعنوي وشيجة الارتباط بينهما، ثم انتقاله إلى المعنى الاصطلاحي ووجه العلاقة.
- تحرير ألفاظ اللغة العربية.
- تعريب الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية ووضع معجم لها، ترعاه مؤسسة تتبع لجامعة الدول العربية.
- عناية المؤسسات التعليمية والتربوية والإعلامية والإعلانية بحسن اختيار الألفاظ والضبط لتؤدي المعنى الصحيح، ووضع رقابة على ذلك.

- تقرير المفاهيم اللغوية المتوافقة مع إعجاز القرآن الكريم نحو عدم الترادف في معاني الألفاظ لدى طلاب العلم في المراحل المختلفة، لكي لا تضعف اللغة بضعف أهلها، ولا تصيبها العجمة بعجمة أهلها.

والله أسأل أن يجزي سائر مشايخنا ومشايخهم خير الجزاء، وخير ما جرى شيخاً عن تلامذته، وأن يسدد خطانا إلى ما يرضيه عنا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ومعلمنا الخير وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش

- (١) انظر: التقرير وترجمته على الموقع (www.atida.org).
- (٢) انظر: مقال بعنوان: العربية لم تعد لغة عالمية، للأستاذ الدكتور علي القاسمي، على الموقع (www.atida.org).
- (٣) فقهاء اللغة: يدرسون اللغة من حيث إنها وسيلة إلى غاية، ويدرسون نشأتها وتطورها، بينما الباحثون في علم اللغة يدرسون قواعدها. انظر نحو هذا: الراجحي، عبده، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة، بيروت، ط١٩٧٩م.
- (٤) انظر: لعبيبي، حاكم مالك، الترادف في اللغة، منشورات وزارة الثقافة العراقية، ط ١٩٨٠م، (ص ١٣).
- (٥) وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، مكتبة نهضة مصر، ط٤، ١٩٥٧م (ص ٢٢٧ - ٢٢٨).
- (٦) انظر: لعبيبي، الترادف في اللغة، ص (١٥).
- (٧) يقول الدكتور إبراهيم أنيس: يُجمع الباحثون في نشأة الدلالة على أنها بدأت بالمحسوسات، ثم تطورت إلى الدلالات المجردة. انظر: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م، ص٦، نقلاً عن Bloomfield. Leonard: Language (419).

- (٨) هو: إميل دوركايم، مستشرق فرنسي انحدر من أسرة يهودية، وحصل على الدكتوراه في تقسيم العمل الاجتماعي، وله دراسة في النظرية البنائية الوظيفية، ودراسة في تطور مفهوم الظاهرة الاجتماعية، ودراسات في الأديان، وكانت وفاته عام ١٩١٧م.
- (٩) انظر: كامل، مراد، دلالة الألفاظ العربية وتطورها، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ط ١٩٦٣م (ص ٨).
- (١٠) ممن ذهب إلى ذلك، د. مراد كامل، انظر دلالة الألفاظ العربية وتطورها (ص ١٤) وانظر: حسان، تمام، اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، ط ١٩٩٤، (ص ١٠).
- (١١) الرفاعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، حقق أصله محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط ٣، ١٩٥٣م، (ص ٥٥/١).
- (١٢) المرجع السابق (٤٥/١).
- (١٣) المرجع السابق (٥٣ /١).
- (١٤) وافي، علم اللغة، (ص ٣٣٤).
- (١٥) هذه الأمثلة على تطور الألفاظ متأثرة بالحضارة والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وسيأتي الحديث عن العامل الديني وأمثلة عليه كالنفق.
- (١٦) انظر: نحو هذه الأمثلة، حماد، عوامل التطور الدلالي، دار القلم لم تذكر الطبعة ولا تاريخها (ص ١٢١).
- (١٧) كامل، دلالة الألفاظ العربية (ص ١٧)، وحماد، أحمد، علم الدلالة في الكتب العربية، دار القلم، ولم تذكر الطبعة ولا تاريخها، (ص ٢٨).
- (١٨) حماد، علم الدلالة في الكتب العربية (ص ٢٨).
- (١٩) حماد، عوامل التطور الدلالي (١٢٢).
- (٢٠) انظر: الرفاعي، تاريخ آداب العرب (ص ١٩٧) ووافي، علم اللغة (ص ٢٣٧، ٢٩٧).

(٢١) يذكر وافي في كتابه علم اللغة أن الفرنسيين استخدموا في لغتهم ضمير الجمع في موضع ضمير المفرد لأثر الطبقيّة في مجتمعهم (ص ٢٣٧، ٢٩٧).

(٢١) قال تعالى ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ [النور: ١٥].

(٢٣) الرفاعي، تاريخ آداب العرب (١/ ١٦٩ - ١٧٠).

(٢٤) المراد بالأحوال الاجتماعية العادات والتقاليد ونظام الأسرة والزواج، والقيم الأخلاقية المجتمعية ... وعليه فإنها تختلف عن الأحوال الجغرافية التي يراد بها طبيعة المنطقة ذاتها وحالها لا حال ساكنيها نحو موقعها التجاري وأثره على المناطق المجاورة.

(٢٥) كامل، دلالة الألفاظ العربية (ص ١٧).

(٢٦) وافي، علم اللغة، (ص ٢٣٣).

(٢٧) المرجع السابق، (ص ٢٢٩).

(٢٨) حماد، عوامل التطور اللغوي (ص ١١٩).

(٢٩) أشار إلى هذا الدكتور مراد كامل، دلالة الألفاظ العربية (ص ١٧).

(٣٠) الرفاعي، تاريخ آداب العرب، (١/ ٨٣ وما بعدها).

(٣١) وافي، علم اللغة (ص ٢٤٠) وانظر نحوه: كامل، دلالة الألفاظ العربية (ص ٢٦).

(٣٢) ذكر هذا المثال الدكتور وافي في كتابه (علم اللغة) (ص ٢٩٦)، وأشار إلى دور التقنية الصناعية كمفردة من نواتج التقنيات العلمية الدكتور مراد كامل في كتابه (دلالة الألفاظ العربية) (ص ٢٣)، والدكتور عودة أو عودة في رسالته (دراسة دلالية للمصطلحات الإسلامية) رسالة ماجستير، القاهرة، ١٩٨١م (ص ٣٥).

(٣٣) هو تشارلز روبرت داروين، عالم تاريخ طبيعي بريطاني، قال بفكرة النشوء والارتقاء والتطور الخلفي ومبدأ الانتخاب، توفي عام ١٨٨٢م.

(٣٤) انظر، وافي (علم اللغة) (ص ٢٢٧)، كامل، مراد (دلالة الألفاظ العربية) (ص ٣٦).

- (٣٥) وافي، علم اللغة (ص ٢٤٣).
- (٣٦) المرجع السابق (ص ٢٢٧).
- (٣٧) حماد، عوامل التطور اللغوي، (ص ٢٠١).
- (٣٨) أبو عودة، عودة، دراسة دلالة المصطلحات الإسلامية، رسالة ماجستير، القاهرة، ١٩٨١ (ص ٢٧-٢٨).
- (٣٩) لعبيبي، الترادف في اللغة، (ص ١٥).
- (٤٠) ابن فارس، أحمد، الصاحبى في فقه اللغة، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، (ص ٧٧ و ٨١).
- (٤١) وممن رد هذا من المحدثين السامرائي، إبراهيم أحمد، في كتابه: تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، طبعة المنظمة العربية للثقافة والعلوم، ١٩٧٣م، (ص ٥٥).
- (٤٢) وافي، علم اللغة، (ص ٢٢٧).
- (٤٣) أبو عودة، دراسة دلالية للمصطلحات الإسلامية (ص ٣٤).
- (٤٤) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق أحمد زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة ٢٠٠٤، (ص ١٥٥).
- (٤٥) أشار إلى هذا الدكتور وافي في معرض حديثه عن عوامل التطور في كتابه علم اللغة (ص ٢٩٤).
- (٤٦) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٤، (٤٨/١).
- (٤٧) ابن فارس، الصاحبى في فقه اللغة، (ص ٣٧).
- (٤٨) ابن جنّي، الخصائص، (٢/٣٠-٣١).
- (٤٩) ابن فارس، الصاحبى، (ص ٦٦-٦٧).

- (٥٠) الغزالي، أبو حامد محمد، المستصفى في علم الأصول، دار الفكر، لم تذكر الطبعة ولا تاريخها، (١/٣٢٣)، وهو يرى أن اللغة كلها وضع وتوقيف لا قياس فيها، انظر (١/٣٣٤)، وكان قد تحدث عن دلالة الألفاظ على المعاني باعتبارها بحثاً أصولياً.
- (٥١) الرافعي، تاريخ آداب العرب، (١/٨٣).
- (٥٢) المرجع السابق (١-١٧٠).
- (٥٣) أشار إلى نحو هذا: وافي، علم اللغة (ص ٢٩٣) ولعبيبي، الترادف (ص ٢١).
- (٥٤) أفدت هذه الطريقة في التقسيم وفهمها من الأستاذ الدكتور فضل عباس في محاضراته الأكاديمية.
- (٥٥) أشار إلى نحو هذا: وافي، علم اللغة (ص ٢٨٩ - ٢٩٠).
- (٥٦) انظر: وافي، علم اللغة (ص ٢٩٣) ولعبيبي، الترادف (ص ٢١)،
- (٥٧) الرافعي، تاريخ آداب العرب (١/١٧٨).
- (٥٨) المرجع السابق (١/١٧٩).
- (٥٩) المرجع السابق (١/١٨٠).
- (٦٠) المرجع السابق (١/١٨١) بتصرف.
- (٦١) انظر: الراغب الأصفهاني، الحسين، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢م، ص ٧١٣.
- (٦٢) انظر: أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٩٩٤م، (٢/٢٠٣). الألويسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه علي عبد البار عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، (٣/٨٣).
- (٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة، فقالوا: يا رسول الله إنا كنا في عزٍ ونحنُ مشركون، فلما آمننا صرنا أدلة. فقال النبي ﷺ: (إني أمرتُ بالعفو فلا تقاتلوا)، فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا، فأنزل الله

- عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ الآية أخرجه النسائي في الكبرى برقم (١١١١٢)، والحاكم في مستدركه، برقم (٢٣٠٧) وصححه، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده الألباني.
- (٦٤) لي دراسة مستقلة عن دور القرآن في حفظ معاني ألفاظ اللغة العربية في أصالتها وتطورها.
- (٦٥) انظر: أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، (ص ١٥٢).
- (٦٦) انظر: المرجع السابق، (ص ١٥٦).
- (٦٧) انظر: المرجع السابق، (ص ١٥٨).
- (٦٨) الراغب الأصفهاني، (ص ٧٠٦).
- (٦٩) المرجع السابق، (ص ٥٥٨).
- (٧٠) يجدر التنبيه أن الإمام البخاري قال في صحيحه: (باب: "وكان عرشه على الماء" [هود: ٧]، "وهو رب العرش العظيم" [التوبة: ١٢٩] - انظر: كتاب التوحيد، باب رقم (٢٢)، (ص ١٤١٣)، طبعة بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، لم تذكر رقم الطبعة، ١٩٩٨م.
- ويبدو أن محقق فتح الباري شرح صحيح البخاري أو الطابع خلط بين الآيتين اللتين ذكرهما البخاري على أنهما آية واحدة، حيث قال: (باب: "وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم - النمل: ٢٦) والصواب: أنه لا توجد في سورة النمل آية بهذا اللفظ - انظر الخلط: فتح الباري شرح صحيح البخاري - المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢٠٠٢م، (١٥/٩٢٢٢) - حيث جاء فيها: قوله سبحانه: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ ﴿٧﴾ (النمل: ٢٦)، وليس فيها "وهو رب العرش العظيم"، وإنما هي في سورة التوبة كما ذكر البخاري رحمه الله، وفي سورة هود قوله سبحانه: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ بِإِكْتِمَائِكُمْ أَنْتُمْ عَمَلًا ۝ ﴿٧﴾ (هود: ٧).
- وليس الخلط من ابن حجر رحمه الله بدلالة قوله في الشرح: (كذا ذكر قطعتين من آيتين (...، (١٥/٩٢٢٤).

- (٧١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢٠٠٢م، (٩٢٣٢/١٥).
- (٧٢) الرازي، مختار الصحيح، (ص١٧).
- (٧٣) انظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (ص٥٨٠). ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية، تحقيق محمود الطناحي وظاهر الزاوي، المكتبة الإسلامية، لم تذكر الطبعة ولا تاريخها، (٢٩٢/٣). الرازي، مختار الصحاح، (ص٢٢٤).
- (٧٤) انظر: الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، (ص٣١١). وابن الأثير، النهاية، (١١٣/٢).
- والرازي، مختار الصحاح، (ص١٠٨).
- (٧٥) وافي، علم اللغة (ص ٢٩).
- (٧٦) كامل، دلالة الألفاظ العربية (ص ٢٥).
- (٧٧) أبو عودة، دراسة دلالية لمصطلحات الإسلامية في القرآن الكريم (ص ٣٣-٣٤).
- (٧٨) لعبيبي، الترادف في اللغة (ص ٣٤)،
- (٧٩) بالمر هو: ادورد هنري (١٢٩٩هـ، ١٨٨٢م) مستشرق انكليزي استعماري ولد وتعلم في كمبردج، وأرسل إلى مصر في بعثة ارتادت صحراء سيناء سنة (١٨٦٩م) ثم دخل التيه وطاف بها ماشياً واتصل بالبدو ودرس لهجاتهم وعاداتهم ثم عاد أستاذا للعربية في جامعة كمبردج، الأعلام (١/٢٨٤).
- (٨٠) بالمر، ادورد هنري، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، طباعة الجامعة المستنصرية، العراق، عام ١٩٩٣م، (ص١٢).
- (٨١) حماد، عوامل التطور الدلالي (ص ١٨-١٩).
- (٨٢) المرجع السابق (ص ٣٢).
- (٨٣) المرجع السابق، (ص ١٩).
- (٨٤) المرجع السابق (ص ٢٩).
- (٨٥) المرجع السابق (ص ٣٤-٣٥).

(٨٦) الرافعي، تاريخ آداب العرب (١/١٨٤).

(٨٧) المرجع السابق (١/١٨٧).

(٨٨) للأستاذ الرافعي مقولة جميلة في المشترك حيث قال (الألفاظ متناهية والمعاني لا تنتهي فإذا وزعت هذه على تلك لزم الاشتراك واختصاص اللفظ الواحد بمعنيين أو أكثر) (تاريخ آداب العرب ، ١/١٩٤).

(٨٩) المرجع السابق، (١/٢٠٢ و ٢٠٥).

(٩٠) ذكر الزكشي (٧٩٤هـ) في كتاب البرهان، أن الشافعي (٢٠٤هـ) وجمهور العلماء يرون أن إعجاز القرآن والتحدي به يقتضي أن لا يكون فيه إلا لغة العرب، انظر: الزكشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق يوسف المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، (١/٣٨٣).

وهذا الذي مال إليه الرافعي هو رأي لعلماء سابقين، منهم ابن عطية (٥٤٦هـ) حيث قال: (فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها، فإنه قد كان للعرب العاربة التي نزل بلسانها القرآن بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتى قريش ... فعلقت العرب بهذا كلها ألفاظاً أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها في أشعارها ... ووقع بها البيان)، انظر: ابن عطية، محمد عبد الحق، المحرر الوجيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (١/٥١).

(٩١) الزكشي، البرهان في علوم القرآن، (١/٣٨٤).

(٩٢) المرجع السابق، (١/٣٨٤).

(٩٣) المرجع السابق (١/٢١٠).

(٩٤) المرجع السابق (١/٢١٣).

(٩٥) انظر عموم هذه الأنواع في تاريخ آداب العرب (١/١٨٤ - ٢١٣).

(٩٦) ابن جنبي، أبو الفتح عثمان، الخصائص، (٢/٤٤٢).

- (٩٧) قلت معضلة ولم أقل مانع؛ لأنه ليس كل منع عضل، فالعضل هو المنع الشديد الذي تضيق معه الحيل، ومنه قيل داء عُضال، وعليه قول عمر رضي الله عنه: "أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبا الحسن". ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، طبعة ١٣٧٥هـ، بتصرف، (١١/٤٥١-٤٥٣).
- (٩٨) الخطابي، محمد بن سليمان، رسالته البيان في إعجاز القرآن ضمن كتاب ثلاث رسائل في الأعجاز، تحقيق محمد خلف، دار المعارف، ط٤ لم تذكر الطبعة، ص ٢٧ بتصرف
- (٩٩) الشافعي، محمد بن ادريس، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لم تذكر الطبعة، مسألة ٤٢
- (١٠٠) ابن فارس، أحمد، الصحابي في فقه اللغة، تحقيق د. عمرو فاروق، مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٣م، (ص ٤٩).
- (١٠١) ابن جنّي، الخصائص، (١/٢٤٩).
- (١٠٢) ابن فارس الصحابي في فقه اللغة، (ص ٩٧).
- (١٠٣) كامل دلالة الألفاظ العربية (ص ٢٢).
- (١٠٤) المرجع السابق (ص ٣١).
- (١٠٥) فالأصل في كلمة بعض أنهما معرفة بالإضافة، ولا تعرف بأل، إلا أن الأمانة العلمية اقتضت نقل النص المقتبس على حاله.
- (١٠٦) حماد، عوامل التطور الدلالي (ص ١٥٨).
- (١٠٧) حسان، تمام، الأصول، عالم الكتب، ط ٢٠٠٠م، (ص ٢٥٦-٢٥٧).
- (١٠٨) حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، (ص ٣٢٠).
- (١٠٩) الرافعي، تاريخ آداب العرب (١/١٧١).
- (١١٠) تحدث الرافعي عن هذا الموضوع انظر "تاريخ آداب العرب (١/٢١٢-٢١٣).

(١١) رواه البخاري (٦١٧٩) قال ابن حجر في شرح الحديث: لقست: غثت، ولعل النهي عن قول خبثت: لأن الخبث يطلق على الباطل وعلى الكذب في المقال والقبيح في الفعال وعلى الحرام والصفات المذمومة، بتصريف (١٢ / ٧٣٥٩).